الموقع الجيوإقتصادي لسوريا وأثره على سياسة روسيا الاتحادية

أ.م.د ظاهر عبد الزهرة الربيعي م.م. ثناء إبراهيم فاضل
جامعة البصرة/ كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم الجغرافية

المستخلص:

إن التفاعل بين السلوك السياسي للإنسان وما يتمخض عن فكره من تصور استراتيجيات لبناء قوة الدولة من جهة، وتفاعل الإنسان مع بيئته الجغرافية وتاريخه القديم والحديث يكشف قوة الدولة المتمثلة بمدى إمتلاكه القدرة على استغلال مواردها تلبية لحاجات المجتمع. ولا بد من التأكيد أن قوة الدولة ومدى تأثيرها في السياسة الدولية لا بد لها من إمتلاك وسائل القوة المتمثلة بالعوامل الطبيعية والبشرية والاقتصادية والعسكرية. ولم يعرف التاريخ سلعة أثرت سياسياً واقتصادياً في العلاقات بين الدول مثل النفط ومشتقاته، فقد صاحب عمليات استكشافه وامتيازات استخراجه وبيعه صراعات بدأت سياسية وإنتهت عسكرية ومنها منطقة الدراسة، والتي أثبت البحث أهميتها الاقتصادية ولاسيما لروسيا التي لا تفرط بها اطلاقاً.

المقدمة

إن من أهم أسباب الحراك الشعبي في سوريا وتداعياته والتدخل الدولي غير المسبوق في سوريا وفقاً للمؤيدين والمعارضين لنظام الحكم والعائدة للصراع على النفط والغاز الطبيعي في السوق العالمي، سببين:

أولهما: اكتشافات النفط والغاز تحت مياه البحر المتوسط قرب سوريا.

وثانيهما: تخوف روسيا من أنبوب غاز ضخم يأتي من قطر مروراً بسوريا وصولاً لأوروبا مما يفقدها موقعها كأكبر مصدر للغاز للدول الأوروبية.

من الواضح أن روسيا قد قرأت الخريطة وتعلمت الدرس جيداً بأن عدم قدرة الاتحاد السوفيتي على البقاء كمحور رئيس في التنافس والصراع الدولي نداً للولايات المتحدة الأمريكية وتفككه كان بسبب بعد موارد الطاقة العالمية عن سيطرته. كما تعلمت أن لغة الطاقة الاتية في القرن الواحد والعشرين على الأقل هي لغة الغاز. وهذا لا يمنع أن تكون هنالك أسباب سياسية إقليمية ودولية أخرى لنشوء الأزمة السورية. إلا أن الاسباب الاقتصادية دائما لها الدور الاساس في الصراع العسكري والسياسي، فالسياسة ما هي إلا الشكل المكثف للاقتصاد.

ولعل من أهم الأسباب التي دفعت روسيا إلى التدخل في سوريا ظهور دلالات إنهيار الحكومة السورية الحليفة لها بشكل مفاجئ قبل إيجاد البديل المناسب. والتأخير الحاسم في مسارات جيوبولتيك الطاقة في المنطقة لأهمية موقع سوريا كونها مكاناً محتملاً لمرور شبكة أنابيب النفط والغاز الخليجي والمصري والإيراني إلى تركيا فأوروبا. والتدخل الروسي عجل فشل كافة المسارات السياسية الباحثة عن حلول

ومخارج للأزمة بالضد من الحكومة السورية القائمة.

تتحدد مشكلة البحث بالسؤال الآتي: ما أهمية الموقع الجيوإقتصادي لسوريا وما هو أثره على روسيا الاتحادية؟

يشكل موقع سوريا الجيوإستراتيجي أهمية كبيرة بالنسبة إلى روسيا سيما مسألة كونها دولة عبور لأنابيب الطاقة ومسألة الطاقة المتوافرة المستغلة حالياً وكمية الإحتياطي منها ومجال تصديرها من النفط والغاز وطرق إمداداته.

تتحدد الدراسة مكانياً بحدود الجمهورية العربية السورية، وضمت مدة زمنية حددها الباحثان بعد عام ٢٠١١.

منهج البحث وتنظيمه: إعتمد الباحثان على المنهج التحليلي في كتابة البحث، أما تنظيمه فقد وضع في مبحثين، تناول المبحث الأول الخصائص الجغرافية لموقع سوريا الجغرافي من خلال التطرق إلى الموقع الفلكي والجغرافي وموقع الجوار والمساحة والشكل، فيما تناول المبحث الثاني المسألة الطاقوية وأهميتها بالنسبة إلى روسيا، فضلاً عن الجداول والخرائط والخاتمة وقائمة المصادر.

المبحث الأول: الخصائص الجغرافية الطبيعية لموقع سوريا الجغرافي

تقع سوريا بين دائرتي عرض (٣١°٨′–٣٧°٤٥′) شمالاً وبين قوسي طول (٣٥°٨٠′– ٤٢,١٥°) شرقاً، تنظر الخريطة(١)، في نطاق المنطقة المعتدلة الدافئة ضمن مناخ البحر المتوسط، الذي يتصف بأنه حار جاف مشمس صيفاً ومعتدل ممطر شتاءً[١]. ويعد هذا الموقع الفلكي مهماً بدرجة كبيرة، إذ أنه حدد بدرجة كبيرة الشخصية الإقتصادية والسياسية لسوريا.

تقع سوريا في الجزء الغربي من قارة آسيا، يبلغ مجموع الحدود البرية لسوريا (٢٢٥٣) كم، تتوزع بين تركيا في الشمال (٨٢٢) كم، والعراق في الشرق والجنوب (٦٠٠) كم والأردن في الجنوب (٣٧٥) كم، أما من ناحية الغرب فيحد سوريا كل من لبنان (٣٧٠) كم وفلسطين (٧٦) كم والبحر المتوسط بساحل يبلغ طوله (١٩٣) كم ومياه إقليمية مساحتها(٢٣١٦) كم٢، ينظر الجدول (١). إن وقوع سوريا على ساحل البحر المتوسط عزز من قيمة وأهمية موقعها الجغرافي ليس على نطاق إقليمي فحسب، بل على نطاق عالمي، لما لهذا المسطح المائي من أهمية جيوإستراتيجية بسبب موقعه الجغرافي المميز على سطح الكرة الأرضية، إذ يتوسط قارات العالم القديم.

الخريطة (١): الموقع الجغرافي للجمهورية العربية السورية

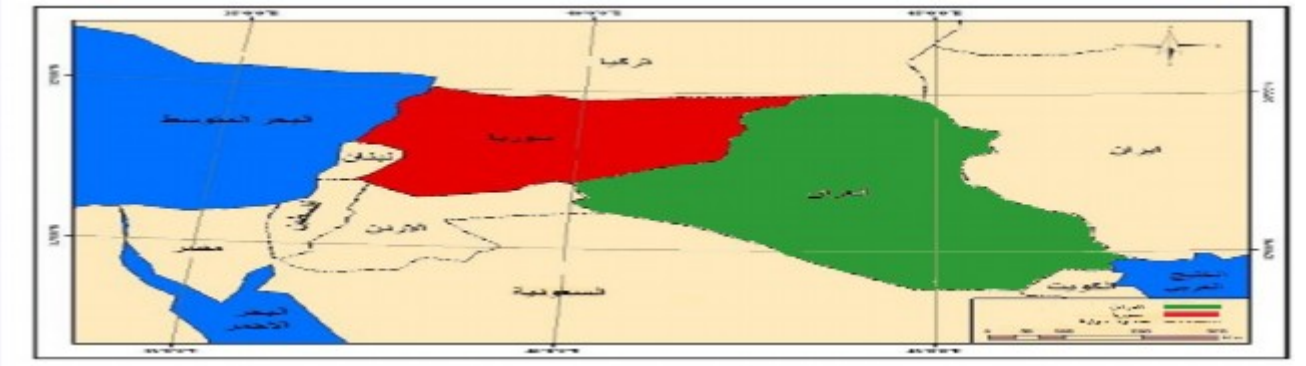

المصدر: https://www.google.iq/search?q=%D8%AM:&imgrc=AkswQE6hUecsTM :

الجدول (١): أطوال حدود سوريا مع دول جوارها الجغرافي

الدولة	تركيا	العراق	الأردن	لبنان	فلسطين	إجمالي الحدود البرية	الشريط الساحلي	المجموع
الطول/كم	٨٢٢	٦٠٠*	٣٧٥	٣٧٠	٧٦	٢٢٥٣	١٩٣	٢٤٤٦
النسبة المؤية	٣٣،٦١	٢٤،٥٣	١٥،٣٣	١٥،١٣	٣،١١	٩٢،١١	٧،٨٩	١٠٠،٠٠

المصدر: ١- جغرافية سوريا https://ar.wikipedia.org/wiki/

٢- وزارة التخطيط العراقية، الجهاز المركزي للإحصاء، المجموعة الإحصائية السنوية، الباب الأول، الأحوال الطبيعية، ٢٠١٠-٢٠١١، www.mop.gov.iq

ومما زاد من حساسية الموقع الجيوإستراتيجي للبحر المتوسط هو إمتداد شبكة واسعة وكثيفة في جزئه الجنوبي والشرقي من خطوط نقل أنابيب النفط الخام والغاز الطبيعي القادمة من الجزء الآسيوي من الوطن العربي وشمال أفريقيا متجه إلى السوق الأوروبية[٢]، إن هذه الأهمية الإستثنائية للبحر المتوسط جعلته محط أنظار القوى الكبرى والإقليمية ومحل تنافس وصراع وتحقيق التوازنات بين القوى العظمى والسعي للحصول على مناطق نفوذ في الدول المطلة عليه منذ قرون طويلة [٣].

بسبب موقع سوريا الإستراتيجي يمكن تحديد موقعها في النظريات الجيوبوليتيكية المعتمدة في الدراسات السياسية والجغرافية السياسية الخاصة بأهمية مواقع الكيانات السياسية. تقع سوريا في منطقة الهلال الداخلي في نظرية "قلب الأرض" لماكندر* الذي عد العالم القديم (آسيا وأوروبا وأفريقيا) قارة واحدة ذات ثلاثة أقسام متلاصقة أطلق عليها "الجزيرة العالمية" يتوسطها البحر المتوسط[٤]. مما أدى إلى عدها جزءاً من الجسر الذي يربط بين القلب الشمالي "المنطقة الممتدة بين الفولغا وشرق سيبيريا" والقلب الجنوبي "جنوب الصحراء الكبرى الأفريقية"، وعد موقعها الجغرافي ذا أهمية إستراتيجية عالية بسبب تحكمها بالطرق التي تربط بين القارات، وحسب نظرية الإرتطام، أو نظرية الإطار الأرضي لنيقولاس سبايكمان*، فإن سوريا تقع أيضاً ضمن الإطار القاري ذي الأهمية الإستراتيجية والمحيط بالقلب الروسي، ومن ثم فأن أهميتهما أكبر منها عند ماكندر، وتعمل الدول الكبرى على الإستفادة منها للولوج إلى عوالم المصالح المتداخلة والمتشابكة. وفي نظرية "القوة الجوية مفتاح للبقاء" لسفرسكي*، فأن سوريا تقع ضمن منطقة "المصير" وهي أهم المناطق من

* هارفرد ماكندر: عالم بريطاني جغرافي أحد مؤسسي علم الجيوبوليتك،صاحب نظرية القوة البرية عام ١٩٠٤ وعدل عليها ١٩١٩ و ١٩٤٣، "من يحكم شرق اوروبا يسيطر على قلب العالم، ومن يسيطر على القلب يسيطر على جزيرة العالم (آسيا– أوروبا– أفريقيا)، ومن يسطير على جزيرة العالم يسيطر على العالم". للمزيد ينظر: حميد حمد السعدون، نظرية ماكندر قراءة جديدة في ظل الهيمنة الأمريكية، مجلة الدراسات الدولية، العدد ٢٨، ٢٠٠٥، بغداد، ص٨٩-٩٠.

* تنص النظرية على أن الهلال الداخلي أهم من القلب، ومن يسيطر على الهلال الداخلي يسيطر على الجزيرة العالمية، ومن يسيطر على الجزيرة العالمية يسيطر على العالم. وبالتالي قال: "من يسيطر على الهلال الداخلي يسيطر على أوروبا وآسيا، ومن يسيطر على أوروبا وآسيا يسيطر على العالم". للمزيد ينظر: ويكبيديا الموسوعة الحرة https://ar.wikipedia.org/wiki/

*عام ١٩٥٠ رسم سفرسكي خريطة ذات مسقط قطبي "القطب الشمالي" ووضع فيها الأمريكيتين جنوب القطب وأوراسيا وإفريقيا في شمال القطب، وفي هذه الخريطة يتضح أن السيادة الجوية الأمريكية تشتمل على الأمريكيتين بينما منطقة السيادة الجوية السوفيتية تغطي جنوب وجنوب شرق آسيا وإفريقيا جنوب الصحراء الكبرى. ومنطقتي النفوذ الجوي تتصادم في أوروبا الغربية وشمال إفريقيا والشرق فضلاً عن أن نفوذ القوة الجوية الروسية يغطي أمريكا الشمالية، وتغطي القوة الجوية الأمريكية الهرتلاند الأوراسي، وسمى منطقة تداخل السيادتين الجويتين البرية والبحرية "منطقة المصير" وهي منطقة الحسم في أية معركة بين القوتين وهي المنطقة الجيواستراتيجية الأهم في العالم. وقد عبر سفرسكي عن ذلك بمبدئه القائل من يملك السيادة الجوية يستطيع أن يسيطر على مناطق تداخل النفوذ الجوي ومن يسيطر على مناطق تداخل النفوذ الجوي يصبح بيده مصير العالم. المصدر: الكسندر دي سفرسكي ونظرية القوة الجوية المدرسة السوفياتية، https://bohoht.blogspot.com/2016/04/blog-post_11.html

الناحية الإستراتيجية التي تعني السيطرة عليها السيطرة على الأجزاء الأخرى من العالم(٥).

كما تظهر أهمية ساحل سوريا المطل على البحر المتوسط مزايا إستراتيجية في ربط المحيط الأطلسي في نظرية "القوة البحرية" لفريد ماهان*(٦)، وعليه فقد شكل موقعها الجغرافي أحد المحاور بالغة الأهمية لعملية التوازن الإستراتيجي بين القوى العظمى المتنافسة على النفوذ في المنطقة(٧).

ومما زاد من أهمية الموقع الجغرافي بعد العام ٢٠١١ هو الإحتياطيات الكبيرة من الغاز الطبيعي في سواحل البحر المتوسط المواجهة للساحل السوري، فقد قدّر تقرير لـــ "الأسكوا" الإحتياطي الجيولوجي للغاز الطبيعي بكل أنواعه في سوريا بنحو (٧٠٥) مليار م٣، في حين أن الإحتياطي القابل للإنتاج يبلغ (٤٠٥) مليارات م٣(٨)، وميزة هذه الإكتشافات التي ضاعفت تلك الأهمية هو وجودها بالقرب من موانئ التصدير عن طريق البحر المتوسط، فضلاً عن قرب سوريا من الأسواق إلى دول أوروبا.

بناءً على ما تقدم يمكن القول إن سوريا تمتلك مميزات موقعية جيوإستراتيجية لا يمكن تجاهلها. بسبب موقعها الجغرافي المطل على البحر المتوسط والمتمركز في قلب العالم القديم الذي يشكل أداة وصل بين الشرق والغرب سواءً في أوقات السلم (التجارة الدولية والملاحة والنقل بأنواعه) أو في أوقات الحرب والذي كان سبباً رئيساً في تنافس الدول الكبرى للحصول على النفوذ فيها(سياسياً أو عسكرياً أو إقتصادياً).

المبحث الثاني: المسألة الطاقوية وعلاقتها بموقع سوريا الجيوإقتصادي وأهميته لروسيا:

مع نهاية العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، أصبح الغاز الطبيعي أهم مصادر الطاقة المطلوبة عالمياً. وذلك لأسباب:

أولاً: تزايد الطلب على الدول الصناعية لزيادة إنتاجها. مما أدى بالنتيجة إلى زيادة الطلب على مصادر الطاقة. وتسبب هذا في صعوبة وضع الدول المنتجة للنفط لسياسة إنتاج وتصدير موحدة تلتزم بها لإمداد الدول الصناعية، وذلك لإختلاف ظروف كل دولة نفطية من حيث إكتفائها الذاتي من الإنتاج، وإختلاف مصالحها(٩).

ثانياً: تطبيق دول أوروبا الصناعية إجراءات إتفاق الحد من تلوث الجو وإغلاقها العديد من المفاعلات النووية المولدة للطاقة.

وقدر إستهلاك الغاز العالمي للمدة (٢٠١٠-٢٠١٣) بأكثر من (٣,٣) تريليونات م٣. فيما قدر الإحتياطي العالمي شبه المؤكد من الغاز الطبيعي (١٩٠) تريليوناً م٣ لعام (٢٠١٣)(١٠). ويوضح الجدول (٢) أكثر ثلاث دول من حيث الإحتياطي وأكثر ثلاث دول من حيث الإستهلاك.

*ألفريد ثايرماهان كان مدرس في البحرية الأمريكية وجيوستراتيجي ومؤرخاً، وقد أُطلق عليه لقب "الاستراتيجي الأمريكي الأكثر أهمية في القرن التاسع عشر وكان مفهومه عن "قوة البحر" مبنياً على فكرة أن الدول صاحبة القوة البحرية الأعظم سيكون لها التأثير الأكبر في جميع أنحاء العالم (١٨٩٠). وقد كان لهذا المفهوم انعكاسه الهائل في صياغة الفكر الإستراتيجي للقوى البحرية في العالم، وخاصة في الولايات المتحدة وألمانيا واليابان وبريطانيا؛ ممّا أدى في نهاية الأمر إلى تنافس الدول العظمى على الأسلحة البحرية في تسعينيات القرن التاسع عشر. وما تزال أفكاره مسيطرة على مبادئ البحرية الأمريكية. https://ar.wikipedia.org/wiki/

جدول (٢): أكثر الدول إحتياطي وإستهلاك للغاز في العالم حسب تقديرات ٢٠١٣

ت	الدولة	الإحتياطي/ مليار م^3	الدولة	الإستهلاك/ مليار م^3
١	روسيا	٤٧٨٠٠	أمريكا	٦٨٩,٩
٢	إيران	٣٣٦١٠	روسيا	٤٥٧,٢
٣	قطر	٢٥٢٠٠	الإتحاد الأوروبي	٤٤٣,٩

المصدر: The World Factbook, The Central Intelligence Agency (CIA)
https://www.cia.gov/library/publications/the-world-factbook -gas-provedreserves

وعند مقارنة الإحتياطي السوري من الغاز الطبيعي بكل أنواعه البالغ (٧٠٥) مليار م^3 مع إحتياطيات الدول الأكثر إحتياطي من الغاز وعلى وجه الخصوص روسيا (من الجدول السابق)، أو مع الإحتياطي العالمي (١٩٠ تريليون م^3)، يتبين أن الإحتياطي السوري من الغاز الطبيعي لا يشكل إلا نسبة قليلة جداً من الإحتياطي العالمي والروسي، مما يدل على أن التوجه الروسي نحو سوريا لم يكن بسبب إكتشاف كميات من الغاز الطبيعي قبالة الساحل السوري على البحر المتوسط، مع الإشارة إلى أن تلك الكميات قد تكون عامل مضاف لكنها ليست الأساس.

لقد إزدادت القناعة عند حكومات الدول الكبرى، بأن النفوذ في دول موارد الغاز الطبيعي، وأنابيبه وممراته، أصبح أحد المعايير المهمة للقوة الجيوسياسية في العالم(١١) وأحد أسس التنافس الدولي. ومما زاد من حدة هذا التنافس أن روسيا أدركت بأن التركيز على التسلح مع ضعف النفوذ عند مصادر الطاقة العالمية كان أحد أسباب تفكك الإتحاد السوفيتي(١٢). وبذلك إرتكزت آليات تنافس الدول الكبرى لتشكيل النظام الدولي الجديد على حجر أساس هو الطاقة بشكل عام والغاز الطبيعي بشكل خاص(١٣).

في عام ٢٠١٤، إحتلت روسيا مركز الصدارة في قائمة الدول المصدرة للغاز في العالم إذ بلغت كمية الغاز السائل المصدر نحو (٤٢٠) مليار طن، تم تصديره عبر شبكة ضخمة ومعقدة من خطوط الأنابيب تمتد من روسيا مروراً بأوكرانيا وبيلاروسيا إلى مجمل دول شرق أوروبا، وصولاً إلى ألمانيا وبلجيكا(١٤)، هذا يعني أن دول أوروبا تعتمد بالدرجة الأولى على الغاز الروسي وبالتالي تقع مصانعها تحت رحمة روسيا مما يرهن إقتصاداتها المعتمدة على القطاع الصناعي بحسن العلاقات مع الحكومة الروسية. لذا سعت أوروبا للقضاء على هيمنة روسيا في سوق الغاز العالمية مدعومةً بالولايات المتحدة الأمريكية عن طريق التخطيط لمشروع مد خط أنابيب الغاز "نابوكو"*، تنظر الخريطة (٢). وأدركت روسيا أن ما يوقف هذا المشروع قيامها بإستباق تنفيذ مشاريع أنابيب نقل الغاز من وسط آسيا إلى أوروبا وقطع الطرق عن أي نفوذ أميركي أو غربي في الدول المصدرة للغاز وذات الإحتياطي الغازي في الشرق الأوسط، بأن تكون شركة "غازبروم"

* هو خط أنابيب لنقل الغاز من المفترض أن يمتد من تركمانستان فأذربيجان فتركيا فبلغاريا فرومانيا فهنكاريا فالنمسا إلى دول الإتحاد الأوروبي تم توقيع الإتفاق على إنشائه عام ٢٠٠٩ في أنقرة مستهدفاً الإستغناء عن الغاز الروسي وعدم المرور بالأراضي الروسية. وقد تبنى حلف شمال الأطلسي دعم هذا المشروع. المصدر:
http://www.aljazeera.net/encyclopedia/economy/2009/5/18/%

الروسية أحد أهم مستثمري أو مشغلي حقول الغاز الحديثة العهد في المنطقة[١٥]، الأمر الذي أدى إلى أن تضع أمريكا وحلفائها خطة مضادة تعتمد على إيجاد خطوات بديلة، هي الإستعاضة عن مصادر غاز وسط آسيا بمصدر آخر من قـــطـــــر.

خريطة(٢) خط غاز نابوكو ومجموعة خطوط الغاز المارة عبر سوريا

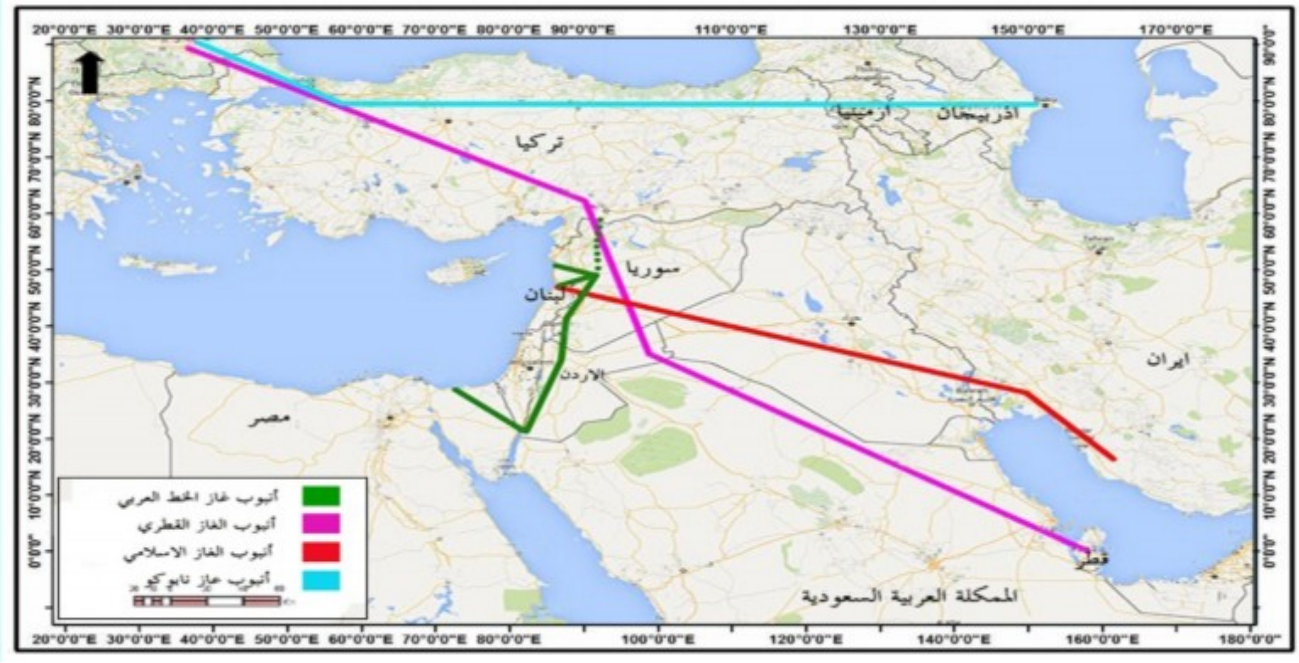

المصدر: المنتدى الاقتصادي السوري (http://www.syrianef.org/En/2016/01/gas-curse-syria/#!prettyPhoto/0/)

نتيجة للتنافس بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا على السيطرة والنفوذ في مناطق الطاقة خطوط إمداداتها، برز موقع سوريا كإحدى المناطق الجيوإستراتيجية في العالم للتنافس والصراع بين القوى العظمى، ويمكن تلخيص الأهمية الجيوإستراتيجية لموقع سوريا في مجال الطاقة بالنقاط الآتية:

أولاً: رداً على سيطرة روسيا على مصادر الغاز الطبيعي في وسط آسيا، ولدت فكرة مشـــروع خـــط الغـــاز القطري والذي من المخطط له أن يبدأ من قطر ليمر بالسعودية فالأردن ثـــم ســـوريا ليلتقـــي بخـــط الغـــاز المصري– الإسرائيلي ويتجه إلى تركيا، تنظر الخريطة (٢)[١٦]. وبوصول الغاز القطـــري الـــرخيص إلـــى أوروبا لن تكون الأخيرة في حاجة للغاز الروسي. ومن الواضح أنه طالما إستمرت الحكومة السورية الحليفة لروسيا والمعارضة لإنشاء الخط القطري، لا يمكن أن يدور أي حديث حول مد هذا الخط[١٧].

ثانياً: دعمت أوروبا خط بديل آخر للغاز الروسي هو خط نقل الغاز الإيراني خريطة(٢). الذي أعلـــن عنـــه عام ٢٠١١ ليبدأ من إيران ويمر عبر العراق ثم سوريا ثم يمتد تحت البحر المتوسط. وفـــي البـــدء وافقـــت روسيا على المشروع مستندةً إلى تحالفها مع إيران مما يسهل عملية التفاهم والحوار بشأن مصالح الـــدولتين في مجال الطاقة مقارنة مع قطر الحليفة للولايات المتحدة الأمريكية. إلا أن تسارع أحداث الحـــراك الشـــعبي في المنطقة حال دون إنشاء هذا الخط[١٨].

ثالثاً: سوريا أيضاً جزء مركزي من مخطط مشروع خط الغاز العربي لتصدير الغاز المصري لدول المشرق العربي ومنها إلى أوروبا، تنظر الخريطة (٢). وتضمنت الخطة إنشاء خط من سيناء إلى العقبة فالرحاب في

الأردن ثم إلى دير علي في سوريا. وفي العام ٢٠٠٦ إتفقت مصر وسوريا، الأردن، لبنان، تركيا ورومانيا على توصيل خط الغاز إلى الحدود السورية- التركية ومن هناك يوصل إلى أوروبا. وكانت سلطات مصر والأردن ولبنان وسوريا اتفقت في العام ٢٠٠٤ مع العراق على توصيل خط الغاز العربي مع العراق لتصدير الغاز العراقي إلى أوروبا أيضاً[١٩]. وبدأت كميات الغاز بالوصول بداية إلى الأردن ثم سوريا في ٢٠٠٩، وبكميات قليلة بلغت (١,٢) مليون م^{3}/ي ومن ثم لاحقاً بلبنان[٢٠].

ومع توقيع إتفاق نقل الغاز الإيراني عبر العراق إلى سوريا في ٢٠١١ أصبحت سوريا هي بؤرة منطقة التجميع ومع إضافة الإحتياطي اللبناني، إتسعت مساحة المنطقة الجيوإستراتيجية لتصبح ممتدة من إيران إلى العراق إلى سوريا فلبنان. وبهذا الإتفاق يكون الطريق قد أغلق على غاز نابوكو[٢١]، لكنه في الوقت نفسه أسس لمشروع منافس لخطوط نقل الغاز الروسي إلى أوروبا.

لقد فتح الحراك الشعبي في بعض دول المنطقة المجال أمام تنافس دولي على النفوذ والمصالح في المنطقة وفي مقدمة هذه المصالح الغاز والنفط[٢٢]، وكون سوريا دولة العبور لخطوط نقل الغاز جعل موقعها الجيوسياسي بالغ الأهمية للدول الإقليمية والدول العظمى[٢٣].

كان لرفض الحكومة السورية مشروع خط نقل الغاز القطري والخليجي أحد أسباب دخول عدد من الدول الإقليمية والدول الكبرى دائرة الصراع في سوريا[٢٤]. أما من ناحية روسيا، فقد كانت مشاريع إعادة تأهيل بعض آبار النفط وفرص إستكشاف النفط والغاز في الأراضي السورية التي تنفذها أو تعاقدت على تنفيذها الشركات الروسية، فضلاً عن التخطيط لتنفيذ مشاريع خطوط نقل الغاز العربي والإيراني والخليجي، كانت عوامل إضافية لتحفيز التدخل الروسي في سوريا بشكل كبير لإبقاء سيطرتها على سوق الغاز عالمياً والحفاظ على الحصة الأكبر من السوق الأوروبية وتحقيق النفوذ في مسارات السياسة الأوروبية. فلو نفذت مشاريع نقل غاز الشرق الأوسط فإن ذلك كان سيضربها في صميم مصالحها الاقتصادية. ولغرض ضمان الحفاظ على مصالحها، وقعت شركة "غازبروم" الروسية في عام ٢٠١٣ إتفاقاً لمدة (٢٠) عاماً لشراء الغاز الطبيعي المسال من حقلي "تمار" و "داليت" الإسرائيليين، وأبرمت شركة "سيوز نفط غاز" الروسية عقد مع الحكومة السورية للتنقيب البحري[٢٥] في المنطقة المقابلة لجنوب مدينة طرطوس إلى مدينة بانياس وبأبعاد (٧٠) كم طولاً و (٣٠) كم عرضاً لمدة (٢٥) سنة، وزادت إستثمارات شركات "تاتنفت" و "ستروي ترانس جاز" الروسيتين في سوريا في مجال بناء محطات معالجة الغاز ومصافي النفط ومجال البتروكيماويات[٢٦]، ودخلت في سياسة تبادل المصالح مع الولايات المتحدة فعقدت شركات "لوك أويل" و "غازبروم" الروسية صفقة تحديث بعض حقول النفط العراقية مقابل أن تتخذ روسيا موقفاً غير معرقل للسياسة الأميركية في أفغانستان وإيران[٢٧].

وبعد تطور الأوضاع على الأرض إلى مشاركة فعلية في الصراع، تواجدت روسيا بكل قوة. إذ كان أحد أهم التهديدات الناتجة عن إسقاط الحكومة السورية هو حدوث تغيير في توازن سوق الغاز الأوروبية، ويصبح من الممكن إيصال الغاز القطري في هذه الحالة عبر الأراضي السورية إلى تركيا فأوروبا.

لقد أثبتت روسيا بما لا يقبل الشك أن موضوع الغاز هو أحد أسباب مساندة الحكومة السورية ومنع أية قوة

إقليمية أو عالمية من إسقاطها أو التحرك بهذا الإتجاه، إذ قالت الحكومة الروسية أنها لن تسمح بمرور أنبوب الغاز القطري في الأراضي السورية لأوروبا حتى بعد ألف عام[٢٨]. وهذا الإعلان يبين ما تنويه روسيا ليس في ما يخص قطر فقط بل في ما يخص كل إستراتيجية الغرب التي تعمل على إحداث تغييرات تؤدي إلى سيطرتهم الفعلية على ممرات الغاز الإستراتيجية وربط دول الخليج جميعها مع العراق وإيران والدول الهامة الشرق أوسطية عبر سوريا.

نستنتج أن سوريا تتمتع بموقع جيوإقتصادي مهم على خريطة العالم السياسية الاقتصادية، مما جعلها نقطة تنافس وصراع بين الدول الإقليمية والكبرى، إلا إن موقع سوريا الجيوإقتصادي شكل أهمية أكبر بالنسبة لروسيا كونه يمثل عقدة لمرور أنابيب الطاقة المتجه إلى الأسواق في أوروبا وبالتالي تعد عاملاً منافساً للغاز الروسي الذي تعتمد عليه أوروبا مما يؤثر على أقتصادها.

الخاتمة

تثبت الأزمة السورية أن الإقتصاد لا زال هو المحرك الأساس لأشرس النزاعات والحروب في العالم، وأن حرب الطاقة للقرن الحادي والعشرين هي حرب الغاز. ومن هذا المنطلق، فإن موقع سوريا الجيوإستراتيجي يمثل مسألة حياة أو موت بالنسبة للإقتصاد الروسي المعتمد بجزئه الأكبر على تصدير الغاز، مما يجعل إحتمال تخلي روسيا عن الحكومة السورية الحليفة لها شبه مستحيل.

هوامش البحث

(١) عبد الرؤوف رهبان، الأهمية الإقتصادية للتجارة الخارجية السورية والعوامل المؤثرة فيها، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٩، العدد ٣+٤، سوريا، ٢٠١٣، ص٥١٧.

(٢) هاشم كاظم صبيخي، الأهمية الجيوإستراتيجية للبحر المتوسط-دراسة في الجغرافية السياسية-، مجلة أبحاث ميسان، المجلد السادس، العدد الحادي عشر، السنة ٢٠٠٩، العراق، ص١٩٣.

(٣) قلواز إبراهيم، الأبعاد الجيوسياسية للمنطقة الأورومتوسطية، المركز المغربي للأبحاث والدراسات الاستراتيجية بالمغرب،١ كانون الثاني ٢٠١٥، المغرب، بحث منشور على الموقع: http://www.alwatanelarabi.com/news.php?extend.347

(٤) عمر كامل حسن، النظام الشرق أوسطي وتأثيره على الأمن المائي العربي، رسالة ماجستير، جامعة الأنبار، كلية التربية، ٢٠٠٢، العراق، ص ٣٣.

(٥) المصدر نفسه، ص ٨٨.

(٦) عبد المنعم عبد الوهاب وصبري فارس الهيتي، الجغرافية السياسية، ط ١، بيت الحكمة، بغداد، ١٩٨٩، ص١٥١- ١٥٣.

(٧) زهراء عباس هندي الأسدي، الجغرافية السياسية للعراق وعلاقتها بدول الجوار الجغرافي، رسالة ماجستير، جامعة البصرة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠١٢، العراق، ص ٣٦.

(٨) تقرير "قطاع النفط والغاز" الصادر في ٢٠١٤/١/١٥ عن "مجموعة عمل إقتصاد سوريا" الخارطة الإقتصادية لسوريا الجديدة منشور على الموقع http://www.eqtsad.net/read/5966. تم الوصول إليه في ٥/ ٢/ ٢٠١٦.

(٩) نبيل سرور، الصراع على النفط والغاز وأهمية منطقة الشرق الأوسط الإستراتيجية، مجلة الدفاع المدني اللبناني، العدد ٩٦ - نيسان ٢٠١٦.

(١٠) the world factbook, the central intelligence agency (CIA) https://www.cia.gov/library/publications/the-

/،world-factbook -gas-provedreserves.

(١١) أحمد علو، حرب أنابيب الغاز العالمية بين المصالح الإقتصادية والهيمنة السياسية، مجلة الجيش، لبنان، العدد ٣٤٧، أيار، ٢٠١٤، منشور على الموقع: https://www.lebarmy.gov.lb/ar/content/

(١٢) مريم موسى رياض يعقوب، تأثير الصعود الروسي على العلاقات الروسية – الأمريكية خلال فترة بوتين وأوباما، المركز الديمقراطي العربي، بحث منشور على الموقع: http://democraticac.de/?p=35126

(١٣) بسمة ماجد حمزة، استراتيجيات التنافس السياسي والاقتصادي العالمي على مصادر الطاقة (النفط والغاز)، أطروحة دكتوراه، جامعة النهرين، كلية العلوم السياسية، العراق، ٢٠١٥، ص٢-٣، غير منشورة.

(١٤) عليان محمود عليان، الغاز الطبيعي العربي: من مضيق جبل طارق إلى مضيق باب المندب– التحديات والمخاطر الإستعمارية، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والإقتصادية، برلين– ألمانيا، ٢٠١٦، ص٢١٢ .

(١٥) نجم عبد الزهرة علي، جيوبولتك الطاقة والصراع الدولي في الشرق الأوسط بعد الحرب الباردة "سوريا أنموذجا"، رسالة ماجستير، جامعة النهرين، كلية العلوم السياسية، العراق، ٢٠١٦، ص٢١٦، غير منشورة.

(١٦) وكالة سكاي برس، وكالة خبرية تعني بالشأن العراقي والدولي، بسبب أنبوب غاز التهبت منطقة الشرق الأوسط، مقال منشور على الموقع http://www.skypressiq.net/2017/4/19/%D8%A%D8%B2 .

(١٧) فكتوريا سيميوشينا، ما هي المصالح الإقتصادية التي تستهدفها روسيا في سوريا؟، القدس العربي (جريدة يومية سياسية مستقلة)، ٧ تشرين الثاني ٢٠١٥، http://www.alquds.co.uk/?p=431022

(١٨) يونادام، مجلة قضايا خارجية، مقال منشور على الموقع: http://yonadam.com/2015/10/19/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8

(١٩) مدونة واشنطن بلوغ، الغاز العربي حلم أمريكي قديم جديد: حروب العراق وأفغانستان وليبيا وسورية، مقال منشور في جريدة النور، العدد ٧٣٣، ١٧ **آب ٢٠١٦**، http://an-nour.com/index.php?option=com_k2&v

(٢٠) المسألة الطاقوية تفسر إلى حد بعيد «تكالب» القوى الكبرى والإقليمية على مكانة سورية الجيوإقتصادية، مقال منشور في صحيفة تشرين (صحيفة يومية سياسية تصدر عن مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع)، دمشق، سوريا، منشور على الموقع: tishreen.news.sy/tishreen/public/print/262159.

(٢١) نجم عبد الزهرة علي، جيوبولتك الطاقة والصراع الدولي في الشرق الأوسط بعد الحرب الباردة سوريا أنموذجا ، مصدر سابق، ص٢١٨.

(٢٢) لينا الخطيب، أهداف اللعبة العسكرية الروسية في سورية، مقال منشور في جريدة الحياة، ١/١٠/ ٢٠١٥، على الموقع: http://www.alhayat.com/Opinion/Writers

(٢٣) المقابلة الشخصية مع Andreev Alexander القنصل الروسي لقنصلية جمهورية روسيا الإتحادية في محافظة البصرة.

(٢٤) أحمد علو، حرب أنابيب الغاز العالمية بين المصالح الإقتصادية والهيمنة السياسية، مصدر سابق.

(٢٥) المسألة الطاقوية تفسر إلى حد بعيد «تكالب» القوى الكبرى والإقليمية على مكانة سورية الجيوإقتصادية، مصدر سابق.

(٢٦) لينا الخطيب، أهداف اللعبة العسكرية الروسية في سورية، مصدر سابق

(٢٧) محمد نجيب السعد، قضايا، روسيا والشرق الأوسط، مصدر سابق.

(٢٨) عماد علي، كشف بوتين ما وراء قضية سوريا الدموية، مقال منشور في جريدة المثقف، العدد ٣٢٩١، العراق، ٠٩ - ٠٩ - ٢٠١٥، http://almothaqaf.com/index.php/araa2015/897558.html

المصادر

١ - الكتب

1. the world factbook, the central intelligence agency (CIA) https://www.cia.gov/library/publications/the-world-factbook -gas-provedreserves./،

٢. عبد الوهاب، عبد المنعم وصبري فارس الهيتي، الجغرافية السياسية، ط ١، بيت الحكمة، بغداد، ١٩٨٩.

٢ - الرسائل والاطاريح

١. الأسدي، زهراء عباس هندي ، الجغرافية السياسية للعراق وعلاقتها بدول الجوار الجغرافي، رسالة ماجستير، جامعة البصرة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠١٢، العراق.

٢. حسن، عمر كامل ، النظام الشرق أوسطي وتأثيره على الأمن المائي العربي، رسالة ماجستير، جامعة الأنبار، كلية التربية، ٢٠٠٢، العراق.

٣. حمزة، بسمة ماجد ، استراتيجيات التنافس السياسي والاقتصادي العالمي على مصادر الطاقة (النفط والغاز)، أطروحة دكتوراه، جامعة النهرين، كلية العلوم السياسية، العراق، ٢٠١٥،غير منشورة.

٤. علي، نجم عبد الزهرة ، جيوبولتك الطاقة والصراع الدولي في الشرق الأوسط بعد الحرب الباردة "سوريا أنموذجا"، رسالة ماجستير، جامعة النهرين، كلية العلوم السياسية، العراق، ٢٠١٦، غير منشورة.

٣ - المجلات العلمية

١. أحمد علو، حرب أنابيب الغاز العالمية بين المصالح الإقتصادية والهيمنة السياسية، مجلة الجيش، لبنان، العدد ٣٤٧، أيار، ٢٠١٤، منشور على الموقع: https://www.lebarmy.gov.lb/ar/content/

٢. رهبان، عبد الرؤوف ، الأهمية الإقتصادية للتجارة الخارجية السورية والعوامل المؤثرة فيها، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٩، العدد ٣+٤، سوريا، ٢٠١٣.

٣. صبيخي، هاشم كاظم ، الأهمية الجيوإستراتيجية للبحر المتوسط-دراسة في الجغرافية السياسية-، مجلة أبحاث ميسان، المجلد السادس، العدد الحادي عشر، السنة ٢٠٠٩، العراق.

٤. نبيل سرور، الصراع على النفط والغاز وأهمية منطقة الشرق الأوسط الإستراتيجية، مجلة الدفاع المدني اللبناني، العدد ٩٦ - نيسان ٢٠١٦.

٥. يونادام، مجلة قضايا خارجية، مقال منشور على الموقع: http://yonadam.com/2015/10/19/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8

٤ - مراكز الدراسات الاستراتيجية

١. إبراهيم، قلواز ، الأبعاد الجيوسياسية للمنطقة الأورومتوسطية، المركز المغربي للأبحاث والدراسات الاستراتيجية بالمغرب، ١ كانون الثاني ٢٠١٥، المغرب، بحث منشور على الموقع: http://www.alwatanelarabi.com/news.php?extend.347

٢. عليان، عليان محمود ، الغاز الطبيعي العربي: من مضيق جبل طارق إلى مضيق باب المندب– التحديات والمخاطر الإستعمارية، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والإقتصادية، برلين– ألمانيا، ٢٠١٦.

٣. يعقوب، مريم موسى رياض ، تأثير الصعود الروسي على العلاقات الروسية – الأمريكية خلال فترة بوتين وأوباما، المركز الديمقراطي العربي، بحث منشور على الموقع: http://democraticac.de/?p=35126

٥ - المنشورات والتقارير الرسمية

١. المكتب المركزي للإحصاء في سوريا، ٢٠١٦/١/٧.

٢. تقرير "قطاع النفط والغاز" الصادر في ٢٠١٤/١/١٥ عن "مجموعة عمل إقتصاد سوريا" الخارطة الإقتصادية لسوريا الجديدة منشور على الموقع http://www.eqtsad.net/read/5966. تم الوصول إليه في ٥/ ٢/ ٢٠١٦.

٦ - المقابلات الشخصية

١.. المقابلة الشخصية مع Andreev Alexander القنصل الروسي لقنصلية جمهورية روسيا الإتحادية في محافظة البصرة.

٧ - الصحف والمواقع الالكترونية

١. الخطيب، لينا ، أهداف اللعبة العسكرية الروسية في سورية، مقال منشور في جريدة الحياة، ١٠/١/ ٢٠١٥، على الموقع: http://www.alhayat.com/Opinion/Writers

٢. سيميوشينا، فكتوريا ، ما هي المصالح الإقتصادية التي تستهدفها روسيا في سوريا؟، القدس العربي (جريدة يومية سياسية مستقلة)، ٧ تشرين الثاني ٢٠١٥، http://www.alquds.co.uk/?p=431022

٣. علي، عماد ، كشف بوتين ما وراء قضية سوريا الدموية، مقال منشور في جريدة المثقف، العدد ٣٢٩١، العراق، ٠٩ - ٠٩ - ٢٠١٥، http://almothaqaf.com/index.php/araa2015/897558.html

٤. مدونة واشنطن بلوغ، الغاز العربي حلم أمريكي قديم جديد: حروب العراق وأفغانستان وليبيا وسورية، مقال منشور في جريدة النور، العدد ٧٣٣، ١٧ آب ٢٠١٦، http://an-nour.com/index.php?option=com_k2&v

٥. المسألة الطاقوية تفسر إلى حد بعيد «تكالب» القوى الكبرى والإقليمية على مكانة سورية الجيوإقتصادية، مقال منشور في صحيفة تشرين (صحيفة يومية سياسية تصدر عن مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع)، دمشق، سوريا، منشور على الموقع: tishreen.news.sy/tishreen/public/print/262159.

٦. وكالة سكاي برس، وكالة خبرية تعني بالشأن العراقي والدولي، بسبب أنبوب غاز التهبت منطقة الشرق الأوسط، مقال منشور على الموقع http://www.skypressiq.net/2017/4/19/%D8%A%D8%B2 .

The Geo-economic Location of Syria and its Impact on Russia

Asst. Prof. Dhahir Abdulzahra Alrubaie (Phd)
Asst. Lecturer Thanaa Ibraheem Fadhil
University of Basrah-College of Education for Human Sciences
Department of Geography

Abstract

The interaction of human political behavior and his thoughts of the strategies that build the power of state from the one hand, and his interaction with his geographic environment, ancient and modern history unveil the power of state that is represented by the extent to which he is able to exploit its resources to satisfy the needs of the community. The power of the state and how influential it is in the international politics should be emphasized; it must have means of power represented by the natural, human, economic and military factors. History didn't know a good that politically and economically impacted the relations between nations like petrol and its products. The processes of petrol exploration, concession, extraction and sale were accompanied by conflicts that started politically and ended up military, just like the study area. The research has proved the area's economic importance for Russia which won't let go at all.